

## الطالب والمعلم والوطن المنهوب.. إنها حكاية بلدي

\* جمال حسن

كشفت وكالة الأنباء الفرنسية قبل أيام عن نقل محمد بن سلمان نحو من 4% من أسهم شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو)، والتي تُقدّر قيمتها بنحو 80 مليار دولار، لحسابه الشخصي تحت مظلة صندوق الاستثمارات العامة السعودي، الذي يرأسه هو.

منذ نشأت الدويلة الثالثة آل سعود واحتلـي الجزيرة العربية يشاهدون بأم عينهم كيف تسرق لقمة عيشه وثروات بلادهم على الدوام من قبل الأسرة السعودية الحاكمة بنظام أوليغارشي أساسه العائلة، حيث يتجاوز عدد أمرائها أكثر من 10000 أمير، يتم توزيع عائدات البترول والسياحة الدينية وغيره إلى أرفع المناصب السيادية في الدولة عليهم.

وخلال العهد السلماني ازداد الأمر سوءاً حتى دخل الأسرة الحاكمة وباتت حصة الأسد من نصيب محمد بن سلمان الذي جعل كل الامتيازات خالصـة له بصورة خيالية تفوق قدرة استيعاب العقل البشري، وأضحت عائدات أكبر بلد مصدر للبترول في العالم تذهب إلى حسابه وهو غارق في الترف والبذخ واللهو واللعب والشعب جوعان يبحث عن لقمة قوته.

ثم أنهم يتقاسمون حصة البترول ويستلمون رواتب شهرية تصل في بعضها إلى 270 ألف دولار للشخص الواحد، على سبيل المثال تم في عام 1996 صرف مبلغ 2 مليار دولار كمخصصات لأمراء سعوديين، في وقت كانت ميزانية الدولة بأسرها لا تتجاوز 40 مليار دولار، كما أن إيرادات مليون برميل من النفط يومياً تذهب بالكامل لـ 5 أو 6 أمراء فقط.

انها مؤساة شعب يعيش على كنوز ثمينة من الذهب الأسود والمناجم وعوائد السياحة الدينية التي لا تعد ولا تحصى، والفقير ينخر جسده من كل صوب وحدب وترى منهم من يبحثون عن لقمة قوتهم اليومي في مزابل قصور الأمراء ومن لف لفهم؛ وقسم كبير منهم يعيش دون مستوى الفقر وما يعلن عن اعانات حكومية لا تصل إلا للقليل منه.

في هذا الاطار كتبت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية تقريرها المثير حول ثروة ولد العهد السعودي تحت عنوان "كنوز الأمير"، بدأته بجملة "أنا العقل المدبر"، اشارت فيه الى ان محمد بن سلمان، بدأ بنهب ثروات المملكة عندما كان والده أميراً على الرياض، وذلك وفق مصادر مقربة منه وعدد من مسؤولي القصر الملكي، ومصادر دبلوماسية أوروبية وعربية.

تذكرة آنذاك ما نقله صديق لي كان يمتهن التعليم في أحدى مدارس جدة، قائلاً: في احدى الأيام صفت أحد الطلبة لأنه لم يكتب واجبه، لكنني فوجئت بردة فعله الأدبية الواقعية المنطقية جعلتني أترك قطاع التعليم وأنا خجول من نفسي قبل كل شيء؛ كلام لم أسمعه ولم أفكّر به من قبل.

فقد قال الطالب لي، أستاذ أنا لم أقتتن بالدرس كي أكتب واجبي، سألته لماذا لم تقتتن، فأجاب وبكل

هدوء قائلًا: استاذ، الكتاب يقول أن بلدي بلد من أغنى دول العالم وأكثرها عوائد سنوية، لكن بيتنا من طين ولباسي هذا ومحفظتي هذه وكل أدواتي المدرسية حتى كتبى، هي صدقة من الجمعية الخيرية.

ثم أضاف بقوله: استاذ، الكتاب يقول أن بلدي يمتلك من الذاخائر النفطية ما جعله أول مصدر للبترول في العلم، ولكنه ليس لدينا نفط في البيت بما يكفيانا لنطبخ عليه ونتدفء به وقت الشتاء، حتى أن أمي لا تزال حتى هذه اللحظة تطبخ على الحطب الذي أجمعه من بعض الأشجار المحيطة بمدينتنا خفية.

وفيما الدموع تذرف من عينيه، واصل الطالب خطابه لي: استاذ، الكتاب يقول بلدي بلد الخيرات والثروات، ولكني لم أر الخير آتٍ بل سافر مبتعداً في جيوب الآخرين الذين لا يتذرون شيئاً إلا نهبوه وجعلوه ملكاً لهم والشعب معوز ومحتج ولا أحد منهم يسأل عن حالنا.

وهنا قال لي صديقي المعلم: لقد بدأت أنا ملي ترتجف مما أخذ هذا الطالب يسرده خوفاً على نفسي وعليه، لكنه واصل الكلام بقوله: استاذ، الكتاب يقول أن بلدي قبلة المسلمين ومهد الحضارة الاسلامية التي أخذ منها الغرب كل العلوم وتطور، فيما سؤال كبير يجول في نفسي وهو لماذا يبقى بلدي في المهد وغيره يكبر ويتقدّم؟ فأين تلك الحضارة وعلومها منا؟!.

وفيما كان الطالب يجف دموعه خاطبني مرة أخرى: استاذ، الكتاب يقول أن أبناء وطني متتساون في الحقوق والواجبات والوظائف والخدمات، لكنني لم آخذ حقي كأنسان أو كمواطن من مواطني هذا البلد.. وهذا هو درس بلدي الذي لم أقتنع به ولم استطع كتابة واجبي بسبب هذا.

وشدد الطالب في ختام قوله: استاذ، أنا أعيش كل ذرة من تراب وطني وذاءب في حب هذا البلد، ولكن وطني ذائب في جيوب الفاسدين والقتلة والناهبين وال مجرمين والفراعنة والديكتاتورية.. فهل نحن مقتنعون بما يقدمه لنا الوطن مقابل ما نضحى ونموت من أجله؟؟!!.

وهنا أخذ صديقي المعلم يرتجف بشدة ويبكي، وقال: منذ تلك الحصة لم أعد أرى ذلك الطالب الشجاع الواعي الغيور، ولم أعرف عنه أي شيء، وعندما سألت عنه جلبتني قوات أمن جدة وبدأ التحقيق معه وبقسوة وتعذيب، وأخذوا علي بأنني السبب في السماح لذلك الطالب الذي لم أعرف عن مصيره شيئاً حتى الآن، بأن يسرد كل هذا الكلام ضد "ولي أمره" الحاكم المطلق على رقابنا.

في هذا الوقت نشرت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية تقريراً عن السرقات التي يقوم بها ولي عهد سلمان وأخوه، وكتبت: أن ولي العهد السعودي بات يمتلك هو وإخوه، سلسلة واسعة من الشركات، خلال السنوات القليلة الماضية.

وقالت الصحيفة إن تلك الشركات هي: "شركة الشرق الأوسط لحماية البيئة"، شركة "وطن" للاستثمار الصناعي المحدودة، شركة "ما نغا" لإنتاج أفلام الكرتون وألعاب الفيديو والكتب الساخرة، شركة "ثروات" القابضة، شركة "ثروات" للبحار وشركة "أنساق" الطبية.

"عندما تكون ثريّاً دون تعب، تعتاد على فعل كل التفاصيل بشكل مختلف. لا تحب المشي على أرضيات خالية من السجاد، ولا يعجبك بالتأكيد التنقل على سالم كهربائية متحركة أقل لمعاناً من الذهب الخالص. الحصول على خدمة تافهة لا يمكن أن تتحقق إلا عبر 1,000 رجل أو يزيد" - للكاتبة نفسها تاندون شارما وهي تصف رحلات سلمان بن عبد العزيز وولده المدلل إلى الخارج.

وكتب "شارما"، تحت عنوان «الضروريات المطلقة»، أنه لا يسع للمرء إلا أن يتفق مع ملك السعودية سلمان بن عبد العزيز، الذي سافر برفقة 1,500 شخص، 1,764 رطلاً من الطعام، بخلاف كميات لا يأس بها من الأساس والسجاد، في أولى زياراته الخارجية إلى روسيا، في أكتوبر/ تشرين الأول 2017.

ولكن نعم ما قيل:

بَا تَوَا عَلَىٰ قَلْلٍ الْأَجْبَالٌ تَحْرِسُهُمْ غُلَامٌ الرِّجَالُ فَمَا أَغْنَتَهُمْ الْقُتْلُ

وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عَزٍّ مِّنْ مَعَالِهِمْ وَأَوْدَعُوهُ حَفَرًا يَا بَئْسَ مَا نَزَلُوا

نَادَاهُمْ صَارُخٌ مِّنْ بَعْدِ مَا قَبَرُوا أَيْنَ الْأَسْرَرُ وَالْتِيجَانُ وَالْحَلَلُ

أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مَنْعِمَةً مِّنْ دُونِهَا تُضْرِبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلُ

فَاصْبَحَ الْقَبْرُ حِينَ سَاءَ لَهُمْ تَلِكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدَّوْدُ يَقْتَلُ

أَيْنَ الْمُتُوكُ وَ أَبْنَاءُ الْمُتُوكِ وَ مَنْ قَادَ الْجُبُوشَ أَلَا بِئْسَ مَا عَمَلُوا

قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طالما عمّروا دوراً لتحقّصنهم ففارقوا الدور والأهليين وارتحلوا

وطالما كنزوا الأموال وادّخروا فخلّفوه على الأعداء وانتقلوا